دولة الرئيس الأستاذ نجيب ميقاتي – راعي المؤتمر
مؤتمر الوسطية

بسم الله الرحمن الرحيم

أصحاب المعالي والسعادة والسماحة والسيادة وضيوفنا الأعزاء، الإخوة في المنتدى العالمي للوسطية، السادة الحضور:

أهلاً بكم في طرابلس، فيحاء المدن الصادقة في إيمانها، العميقة في علم أهلها، الحرة في قرارها، الباقية على عهدها منذ فجر الإسلام.

نلتقي اليوم حول مفهوم لم يأخذ حقه من النقاش في لبنان. وسأكون صريحاً بالقول إنه لم يأخذ حصته من النجاح أيضاً.

«الوسطية» التي نجتمع في مؤتمرها الدولي الأول هنا، ما زالت أسيرة المجالس، تهمس في كلامها، تتمهل في سيرها، ترتبك في حركتها، ليس لقلة في عديد المنتمين إلى هذا الفكر، وهم أكثر بكثير من واقع تأثيرهم، وليس لضعف في اقتناعهم وهم على وفائهم لهذا الاقتناع رغم الصعاب، ولكن لأنّ الأزمات التي عاصرها لبنان منذ عشرات السنوات أتاحت للشموليين في السياسة والمغالين في الدين تقاسم المنابر ومواقع القرار.

هؤلاء يحللون – من الحلال – التوتر، ويحرّمون الاستقرار والأمان للناس. يعلنون صراحة وبجهارة أنهم أصحاب الحق الحصري في مستقبلنا ومستقبل أبنائنا. ويتهمون من لا يغالي في دينه بالكفر، ومن يسعى للانفتاح السياسي بالردّة. ديننا والحمد الله، دين يسر يعمّق في نفوس المؤمنين السكينة والأمان. بلادنا بتنوع ثقافات أهلها مرجع في العلم ومصدر للتنور والانفتاح والاعتراف بالآخر واحترامه. فمن أين أتت ثقافة المغالاة في الدين والإلغاء للآخر في السياسة؟

لهذا نجتمع اليوم. نتبصر من العلماء والمفكرين والباحثين. نستمع لصاحب الخبرة. نشجّع على علنية الوسطية وانتشارها. نحاجج عقل وفكر من يتردد في سلوك درب المغالاة أو الشمولية.

الإخوة الحضور

لا أكشف سراً إذا ما قلت إن بيننا الكثيرين من الإخوة الذين يملكون أسئلة أكثر مما في جعبتهم من أجوبة. وبيننا أيضاً من هو راغب في انتهاج الوسطية أكثر ممّن هو قادر عليها. ولا أستغرب أيضاً أن يكون بيننا من لا يرى في الوسطية سبيلاً لنيل حقه.

أتمنى ألا تأخذوا من صراحتي استشعار تردد أو تراجع، لأن الوسطية في مفهومي نهج يقوم على مفاهيم العدل في وجه الظلم، والاستقامة في وجه الخطأ، والاعتدال بين تطرّفين.

هي ليست حياداً بين سيادة وتبعية ولا هي خيار بين احتلال ومقاومة. بل هي المؤمنة بحق المواطنين بسيادتهم على أرضهم وحقهم في تحريرها بكل الوسائل. لكن أهم ما في الوسطية التي أتحدّث عنها، أنها لا تنجرّ وراء الشعارات الفارغة من القدرة، ولا تحتمي بجهل الناس للتغرير بعقولهم، ولا تستغل ظلماً لتبني على ركامه حقاً. ولا تستثير عاطفة – ومن منا ليس عاطفياً – لكي تصنع من حرائقها قوة سياسية أو دينية أو مناطقية.

الوسطية هي الواقعية في السياسة دون ابتذال، واليسر في الدين دون تخلّ، والعدل ولو بالقول حين يستحيل الفعل. الواقعية السياسية – من وجهة نظري – هي الدولة بمفهومها الشامل الدستوري القانوني الديمقراطي العادل. هكذا أفهم تعبير «أهل الأمة» التي أنتمي إليها. والاعتراض عليها حين يخطئ فيها مسؤول أو أكثر، يكون سلمياً وعبر المؤسسات الدستورية. لقد عرفنا الفوضى، وسار الكثر منا خلف الشعارات الفضفاضة الرنانة. فماذا حققنا؟ أترك الجواب لكم، ولكل قارئ للتاريخ.

أيها الحفل الكريم،

في زمن الانقسام السياسي الحاد الذي يعيشه لبنان وصخب المواقف المتناقضة من هنا وهناك يبدو الكلام عن الوسطية والاعتدال أقرب ما يكون إلى التغريد خارج السرب، وما نشهده على الساحة السياسية اللبنانية هو النقيض المباشر للوسطية. إلا أننا على اقتناع ثابت بأن الوسطية هي الناظم الحقيقي لمعادلات العيش الواحد وتوازنات الحكم في الدولة وهي الضامن الحقيقي للوحدة الوطنية ومقياس لعلاقات لبنان بدول محيطه العربي، بل وبدول العالم أجمع.

لقد أثبت تسلسل الأحداث والوقائع، ماضياً وحاضراً، أن لغة الاعتدال هي الراجحة ولو بعد حين، وأن التطرف لا يمكن أن يكون بديلاً عن الوسطية والواقعية السياسية، وأن التسامح والحوار هما المسار الطبيعي نحو الحل.

من هذا المنطلق جاء اتفاق الطائف ليطوي حقبة أليمة من تاريخ لبنان وليرسي صيغة حكم تحفظ ثوابت الكيان وتوازنات الدولة، فما بالنا اليوم نسعى لإعادة عقارب الساعة إلى الوراء، والانقلاب على ما دفعنا ثمنه باهظاً بشراً وحجراً؟ وماذا ينفع السجال على الأكثرية والأقلية فيما الغالبية الساحقة من اللبنانيين باتت تحت خط الفقر أو تصطف على أبواب السفارات طلباً للهجرة يأساً وقنوطاً وعوزاً؟

صحيح أن الواقع بات معقداً إلى حد كبير ومتداخلاً مع معطيات خارجية لا تخفى صعوبتها على أحد، إلا أن الحل يكمن أولاً وأخيراً بأيدي اللبنانيين أنفسهم، إذا كانت لديهم النية الصادقة وعقدوا العزم على إخراج وطنهم من كبوته. من هنا فإنني أجدد الدعوة إلى الإخوة المتخاصمين، في الموالاة والمعارضة، إلى موقف وسطي يعيد فتح الحوار وصولاً إلى «كلمة سواء لبنانية»

تعيد بناء جسور الثقة المفقودة وتنتج مصالحة وطنية حقيقية. فمهما تباعدنا وتخاصمنا لا مفر من أن نجتمع مجدداً على الخير لبلدنا وشعبنا والسعي إلى بناء الأفضل لأجيالنا.

قد يعتقد البعض أن الرهان على حل يأتينا من الخارج، أو على تدخل لصالح هذا الفريق أو ذاك، هو الخيار الصحيح، لكنني أصارحكم، من موقع المتابع والمطلع، بأن أي صيغة يتفق عليها الخارج ستفرض فرضاً على اللبنانيين ولن تراعي مصالحهم، بل مصالح من فرضها، وأي صيغة يستقوي فيها فريق على فريق، ستكون مؤقتة ولن تدوم، وسيدفع اللبنانيون بعد مدة ثمناً آخر لأي استئثار أو هيمنة، لأن مفاعيل التسويات الخارجية تنتهي بانتهاء الواقع الذي أملى فرضها، والمتغيرات الإقليمية والدولية المتسارعة وغير الثابتة.

وحده الخيار الوطني الطوعي هو المدخل الطبيعي لحل أزمتنا إذا أردنا أن نبقى إخوة وشركاء مصير، وتحررنا من عقدة التبعية والاستقواء بالآخرين. لا قوة تدوم إلا قوة وحدتنا وتآزرنا، لا كرامة لنا إلا إذا حافظنا على استقلالية قرارنا، لا هوية لنا إذا جيّرنا قراراتنا إلى الخارج.

إن الوسطية التي تلتقون على اسمها وحولها اليوم، هي صون للاعتدال، وحماية من الجنوح نحو التطرف، وهي فخر للذات، وتحمي الوطن والأمة من تذويب الهوية والضياع.

أيها الإخوة

أتمنى لكم التوفيق في مناقشات هذا المؤتمر للخروج بأفكار وخلاصات تساعد على الخروج من الواقع المأزوم في لبنان وخارجه، وعلى تغليب لغة العقل والحوار على التطرف. وأسأل الله أن يهدينا جميعاً سواء السبيل وأن يجعلنا من أولئك الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه. عشتم وعاش لبنان.